



10 أغسطس 2019

يهل علينا عيد الأضحى المبارك كل عام مع مناسك الحج خامس أركان الإسلام، لتعلمنا قيمة الأسرة المطيعة لربها المستسلمة لتعاليمه، المضحية من أجل المبادئ والقيم، وبذلك استحققت التخليد على مدى التاريخ والذكر الحسن عبر الأمم والأجيال، فنحن نتعلم كل عام بالحج وعيد الأضحى في رحاب مدرسة رائعة، أساتذتها أفراد أسرة عظيمة مكونة من أب وأم وابن مطيعين لرب العالمين، وهم إبراهيم عليه السلام وأمناء هاجر عليها السلام وابنهما إسماعيل عليه السلام.

مظاهر الطاعة في المدرسة

الفصل الأول: (مع الزوج الرائع والأب الطانع)..

فهو قائد الأسرة الذي جعل مهمته الأساسية في الحياة هي الدعوة إلى الله، فتارةً تجده في مصر، وتارةً تجده بالشام، وتارةً تجده بالحجاز، وشعاره الدائم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ﴾ (الصافات: 99) هو عنوان للرضا والتسليم الكامل لأوامر الله وإن بدت في ظاهرها صعبةً وقاسيةً، ولكن قلبه المؤمن الواثق على يقين بأن العز والغور في طاعة الله.

فهو الزوج نعم الزوج، قائم على رعاية زوجته تعيش في كنفه، ويؤدي حقوقها ويقوم بواجباته نحوها.

وهو الأب نعم الأب، يحب الذرية والولد، ظل يدعو سنوات طويلة ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: 100)، وحينما بُرزق بالولد الذي طالما اشتاق إليه على رأس ستة وثمانين سنةً من عمره تأتبه أوامر ربه أن يترك أسرته السعيدة في مكان قفر لا بشر فيه ولا مظاهر للحياة، ويذهب إلى مكان آخر للقيام بواجب الدعوة إلى الله، فيطيع ويمتثل، ثم يؤمر بذبح ابنه الغالي بعدما شبَّ وترعرع فيطيع ويمتثل.

وهو الذي يقود الأسرة بالحوار والإقناع والمشاورة والتفاهم وليس بالفرص والعنف، يناقش ابنه حتى في أمر الله ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات: 102).

وهو الذي يقود الأسرة نحو البناء وصناعة الحياة ويحول أسرته إلى وحدة إنتاج، فهذا البناء الرائع المعظم عبر التاريخ (الكعبة المشرفة) هو نتاج أب وابن طانعين لله.

وهو دائم الدعاء والتضرع إلى الله بأن تنجح هذه الأسرة في أداء مهمتها: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: 37).

الفصل الثاني: (مع الزوجة المطيعة الصابرة والأم الراضية)

فهي الزوجة التي تتميز بالحب والصبر: فهي تحب زوجها وتمتني العيش في كنفه وتتعلق بشبابه عندما بهمُّ أن يتركها عند الحرم، ولكنها تطيع ربه وتصابر إذا علمت أن مصلحة دعوة الله وأوامره تقتضي ذهاب الزوج عنها وتركه الإقامة في كنفها وتقول له وائقةً راضيةً: اذهب فلن يصيبنا الله.

وهي الأم التي تتميز بالرعاية والغذاء: فسعيتها بين الصفا والمروة الأشواط السبعة وقطعها هذه المسافات الطويلة رمزٌ عظيمٌ لرعاية الطفولة، وامتنالها لأمر الله بذبح ولدها وقره عينها ومساندتها لزوجها ورجمها لإبليس حينما عرض لها يريد أن يضعف قلبها ويضرب على أوتار عاطفة الأمومة عندها يكشف عن معدن أصيل متصل بالله وعن مدرسة عظيمة في الغذاء بالأبناء التي علمت أمهاتنا الفضليات في فلسطين صناعة المجد عبر العمليات الاستشهادية وتقديم الأبناء في سبيل الله.

الفصل الثالث: (مع الابن الطانع القدائي المبدع المجاهد المشارك في البناء وصناعة الحياة)

فهو الابن المشارك لأبيه في بناء الكعبة وصناعة الحياة، وهو الابن المطيع لأوامر الله البار بوالديه المستعد للتضحية والغذاء

بنفسه في سبيل الله دونما تردد ولا إحجام: ﴿يَا أَبَتِ أَفَعَلْتَ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102) وهو الابن المبدع المبتكر، فكان إسماعيل أول من رَوَّضَ الخيلَ وَهَدَّبَهَا واستعملها لخدمة الإنسان في شؤون الحياة، وكان ذا خبرة بالرماية وبزِي النبال والقدره على الجهاد والانطلاق بأمر الله.

مظاهر تكريم الأسرة الطائفة:

حَلَّدَ اللهُ تعالى أفعال هذه الأسرة الطائفة بالآتي:

- بأن جعل الكعبة المشرفة التي قام على بنائها سيدنا إبراهيم بمعاونة ابنه إسماعيل محلَّ تكريم طول الزمن وجعلها قبلة الصلاة للرسالة الخاتمة.

- كَرَّمَ اللهُ موضع قدم إبراهيم عليه السلام الذي وقف عليه لبناء الكعبة بقرآن يُتلى إلى يوم الدين: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: 125).

- وكَرَّمَ فعله بتسليمه بذبح ابنه بسنة الأضحية كل عام.

- وإقامة الحجيج في منى يومين أو ثلاثة يُعد احتفالية في صورة إقامة في المكان الذي كانت تقيم فيه هذه الأسرة العظيمة في الفترة التي أمرت فيها بذبح ابنها الغالي وكذلك رمي الجمرات؛ تخليدًا لفعل هذه الأسرة برجم إبليس الذي كان ينهاهم عن ذبح ابنهم، فقاموا برجمه عند العقبة الصغرى والوسطى والكبرى.

السعي بين الصفا والمروة يُعد تكريمًا لفعل أمنا هاجر عليها السلام حينما كانت تسعى لرعاية ابنها.

شرب ماء زمزم والتماس بركته العظيمة يُعد تكريمًا لأثر من آثار الأسرة المطيعة لله.

مظاهر الاستفادة وطرق التوظيف:

على مستوى الأسرة

أن نقوم بعمل احتفالية سنوية في أيام عيد الأضحية كل عام نسُميها (احتفالية الأسرة) تجتمع فيها الأسرة: الزوج والزوجة (الأب والأم) مع الأبناء، فيعيدون قراءة واقعههم كل عام على ضوء المبادئ العظيمة التي عاشت بها أسرة سيدنا إبراهيم، ويتباحثون كيف يحدِّدون حياتهم، وكيف يطوِّرون طاعتهم لله عز وجل، وكيف يسعون لتطبيق تعليماته في المرحلة التي يمرون بها، وتضع الأسرة خطتها السنوية كل عام، انطلاقًا من هذه المحطة الإيمانية كلما مرَّ عليها عيد الأضحية المبارك وكلما هَلَّتْ عليها نفحات الحج العظيمة.

على مستوى المؤسسات

أن تهتم المؤسسات المعنية بشئون الأسرة، بجعل مناسبات التكريم الخاصة بالأسرة في هذا الموعد من كل عام في ظل هذه المبادئ العظيمة التي استقيناها من هذه الأسرة الطائفة بدلًا من أن نجعل عيد الأسرة في ذكرى عيد الأم الأجوف من كل معنى والذي ينمُّ عن هجران الأسرة، وتذكرها فقط مرة كل عام، فعيد الأضحية يمثل بجدارة (عيدًا للأسرة) بأكملها، فهو (عيد للأوممة) (وعيد للطفولة) وكذلك (عيد للأبوة) التي لا يحتفل بها أحد وينطلق من أصولنا وقواعد شريعتنا دون التشبه بالغرب.

على مستوى الأمة كلها

مينة الأمة لمناصرة قضاياها، وأن يكون هناك دور لكل فرد: فالأب قائد ورائد، والأم مساندة وصابرة، والابن فدائي ومبتكر.

على مستوى المؤسسات الإعلامية والصحفية

الترويج لمبادئ وقيم الأسرة بوسائل وطرق مبتكرة عبر النموذج الرائع لأسرة سيدنا إبراهيم، ففي مجال الطفولة - على سبيل المثال - لدينا رمزيات رائعة نستطيع توضيحها للناس:

فالأضحية احتفالية سنوية لفداء الأبناء

الأضحية رمزية عظيمة لقيمة الأبناء وقدرهم في نفوس الأسرة التي توقّر المال وتشتري الأضحية فداءً للأبناء كل عام الذين كانوا طبقًا لما أمر به إبراهيم في أول الأمر سيُذبح واحد منهم، ولكن جاء الفداء من السماء بعد الطاعة والتسليم ﴿وَقَدِّتْنَا يُذْبِحْ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: 107).